

## خطبة بعنوان: فضائل الصحابة (رضى الله عنهم) والافتداء بهم

بتاريخ: 11 شوال 1440هـ - 14 يونيو 2019م

### عناصر الخطبة

العنصر الأول: فضائل الصحابة ومنزلتهم

العنصر الثاني: صور مشرقة لشباب صحابة الرسول

العنصر الثالث: الحث على الاقتداء بالصحابة واتباعهم رضي الله عنهم

العنصر الرابع: واجبنا نحو الصحابة الكرام

**أما بعد:**

**المقدمة:**

العنصر الأول: فضائل الصحابة ومنزلتهم

عباد الله: لقد مدح الله - عز وجل - الصحابة الكرام المهاجرين منهم والأنصار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم. قال تعالى: { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (التوبة: 100) ؛ وكتب الله لهم الفلاح لنصرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الأعراف: 157)؛ وغير ذلك من الآيات ...  
أيها المسلمون: لقد عرّف الإمام البخاريّ الصحابيّ في صحيحه فقال: " الصّحَابِيّ: مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ رَأَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ".

**فالصحابيّ:** هو من لقي النبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مؤمناً به، ومات على الإسلام.

وهذا التعميم في تعريف الصحابي؛ يدل على فضل الصّحبة، وعلى شرف منزلة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ ولأنّ لرؤية نور النبوة قوة سريان في قلب المؤمن، فتظهر آثارها على جوارح الرائي في الطاعة والاستقامة مدى الحياة، ببركته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويشهد لهذا قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمَنَ بِي، وَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرِنِّي سَبْعَ مَرَارٍ ". (أحمد).

فانظروا - يرحمكم الله - : الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر طوبى مرة واحدة لمن رآه وآمن به؛ وسبع مرار لمن آمن به ولم يره !! لماذا؟ قال المناوي رحمه الله: " وذلك لأن الله مدحهم بإيمانهم بالغيب؛ وكان إيمان الصدر الأول غيباً وشهوداً؛ فإنهم آمنوا بالله واليوم الآخر غيباً؛ وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهدوا المعجزات؛ وآخر هذه الأمة آمنوا غيباً بما آمن به أولها شهوداً؛ فلذا أثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم.!!" (فيض القدير).

فالصحابيّ بهذا التعريف قد حصل على "شرف الصّحبة وعظم رؤية النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ وذلك أنّ رؤية الصالحين لها أثر عظيم، فكيف برؤية سيّد الصالحين؟! فإذا رآه مسلمٌ - ولو لحظة - انطبع قلبه على الاستقامة؛ لأنّه بإسلامه متهيّئ للقبول، فإذا قابل ذلك النور العظيم أشرق عليه وظهر أثره في قلبه، وعلى جوارحه" [الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين السبكي].

عباد الله: إن الله اصطفى قلوب صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم وطهرها من بين قلوب العباد. فعن عبد الله بن مسعود قال: " إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته؛ ثم نظر في قلوب العباد

بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ حَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَآءَ نَبِيِّهِ يُفَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ؛ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ". (أحمد والبخاري والطبراني وقال الهيثمي في المجمع: رجاله موثوقون) .

لذلك استحقوا أن يكونوا خيار الناس على الإطلاق؛ فعن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " حَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي؛ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُوهُمْ؛ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُوهُمْ؛ ثُمَّ يَحْيِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ. " (متفق عليه) .

" وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون ؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس ، وصدقوه حين كذبه الناس ، وعزروه ، ونصروه ، وآووه ، وواسوه بأموالهم وأنفسهم ، وقتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام " ١.هـ [التمهيد ؛ وفيض القدير] .

إن خير الأزمان والعصور عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم؛ فكيف لو أنهم أدركوا زماننا هذا؟!!

" فعن محمد بن مهاجر عن الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: رحم الله لبيداً إذ يقول:

### ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ ..... وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ

فقلت عائشة: كيف لو أدرك زماننا هذا؟! قال عروة: رحم الله عائشة لو أدركت زماننا هذا؟! قال الزهري: رحم الله عروة كيف لو أدرك زماننا هذا؟! قال الزبيدي: رحم الله الزهري كيف لو أدرك زماننا هذا؟! قال ابن مهاجر: رحم الله الزبيدي كيف لو أدرك زماننا هذا؟! قال ابن عوف: رحم الله ابن مهاجر كيف لو أدرك زماننا هذا؟! ..... ثم ذكر بعدهم ما يقرب من عشرة رواه... قال المؤلف ( ابن عساكر ): رحم الله أبا الحسن كيف لو أدرك زماننا هذا؟! (" تاريخ دمشق - ابن عساكر ) .

قلت : - رحم الله هؤلاء جميعاً ومن بعدهم ؛ فكيف لو أدركوا زماننا هذا وما يحدث فيه ؟!

ومما جاء في فضل الصحابة -رضى الله عنهم- ما رواه أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " النَّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ النَّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ؛ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ؛ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ. " [مسلم]. " وهو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة؛ من طمس السنن وظهور البدع وفشو الفجور في أقطار الأرض. " [تحفة الأحوزي وفيض القدير] .

أيها المسلمون: علينا أن نعلم، أنه إذا فاتنا شرف الصُحبة، فيجب ألا تفوتنا أخوة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والصحابة، وأن نكون من الذين تَمَّتْ رِسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رُؤْيَتُهُمْ؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبِرَةَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ . وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا إِخْوَانًا قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي . وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ . فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غَرٌّ مَحْجَلَةٌ . بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دَهْمٍ بِهَمْ . أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى . يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غَرًّا مُحْجَلِينَ مِنَ الْوَضُوءِ . وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ . أَلَا لِيَذَادَنَّ رَجُلًا عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ . أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ! يُقَالُ: إِهْمٌ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا " . (مسلم) ؛ شريطة اتباع هديه والعمل بسنته صلى الله عليه وسلم.

عباد الله: إن فضل الصحابة عظيم؛ ويكفي أن كل عمل - يعمل من بعدهم إلى يوم القيامة - في ميزان حسناتهم !! قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: " فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام ، والقرآن والعلم، والمعارف والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله. وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة - رضي الله عنهم - عليه فضل إلى يوم القيامة" . ( منهاج السنة النبوية ) .

أحبتني في الله: إن فضائل الصحابة لا يحصيها عد ؛ ولا يسطرها قلم؛ ولا يصفها لسان؛ ولا يحيط بها بيان!!

وقد ذكر أصحاب السنن كُتُباً وأبواباً في مناقب وفضائل الصحابة كل على حده؛ ومن أراد معرفة المزيد فليرجع إلى ملاحظتها في كتب السنة؛ وحسبي ما ذكرت في فضلهم إجمالاً ؛ جعلنا الله وإياكم أحسن حالا ومآلاً !!

أيها المسلمون: إن من ينظر إلى حملة الإسلام الأوائل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجد أن أكثرهم كانوا شباباً، قام عليهم الدين، وحملوه على أكتافهم حتى أعزهم الله ونصرهم. فهذا الصديق رضي الله عنه لم يتجاوز السابعة والثلاثين ، وهذا عمر رضي الله عنه لم يتجاوز السابعة والعشرين ، وهذا عثمان رضي الله عنه لم يتجاوز الرابعة والثلاثين ، وعلي رضي الله عنه لم يكن تجاوز العاشرة ، وكذلك بقية العشرة رضي الله عنهم : طلحة بن عبيد الله لم يتجاوز الرابعة عشر ، والزبير بن العوام لم يتجاوز السادسة عشرة ، وسعد بن أبي وقاص لم يتجاوز السابعة عشرة ، وسعيد بن زيد لم يتجاوز الخامسة عشرة ، وأبو عبيدة لم يتجاوز سبعاً وعشرين ، وعبد الرحمن بن عوف لم يتجاوز الثلاثين . وكذلك عبدالله بن مسعود، ومصعب بن عمير، والأرقم بن أبي الأرقم، وخباب، ومعاذ وعشرات غيرهم، بل مئات كانوا شباباً. (راجع سيرهم في كتاب : الإصابة لابن حجر رحمه الله ، وغيره).

شباب الإسلام: إليكم نماذج وصوراً خالدة مشرقة من مواقف أصحاب القدوة من الشباب في التاريخ؛ وكيف أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية؛ لتعرفوا جيداً كيف تحمّل هؤلاء في سبيل الدعوة إلى الله الأذى الأكبر، وكيف ذاقوا في الإسلام صنوف الاضطهاد، فما وهنوا وما ضعفوا، وما استكانوا، بل ظلوا مجاهدين مثابرين إلى أن حقق الله على أيديهم الفتح المبين والنصر المؤزر في جميع مجالات الحياة:

**ففي مجال القضاء:** عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: “بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبَعْنِي وَأَنَا شَابٌّ أَقْضِي بَيْنَهُمْ وَلَا أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ؟! قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَثَبِّتْ لِسَانَهُ» قَالَ: فَمَا شَكَّكْتُ بَعْدُ فِي قَضَائِهِ بَيْنَ اثْنَيْنِ.” (أبو داود وابن ماجه بسند صحيح). فاعتمد النبي صلى الله عليه وسلم على عليٍّ وهو شاب في منصب من أخطر المناصب وهو القضاء بين الناس؛ لما لهذا المنصب من الجهد والبحت المتواصل عن الحقائق، وتعلم الفقه والعلوم التي بها يقضي بين الناس ولا يتأتى هذا إلا على يد شاب عاقل قوى التحمل رابط الجأش.

**وفي مجال الصبر والثبات:** فإن صحابة رسول الله قد أعدوا للصبر والابتلاء نفوساً مؤمنة صامدة، وقلوباً مطمئنة بذكر الله. فيها هو بلال بن رباح - رضي الله عنه - المؤمن الصابر قد تلقى في سبيل الله ألواناً من العذاب وأصنافاً من البلاء، فكلما اشتدت عليه وطأة الألم، ووضعت على بطنه الحجارة الثقيلة في وهج الظهيرة المحرق، ازداد إيماناً، وهتف من الأعماق: أحدٌ أحدٌ، فردّ صمداً.

وهذا مصعب بن عمير - رضي الله عنه - أسلم مع الأولين الأوائل في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكتب إسلامه خوفاً من أُمَّه وقومه، ولكن كشفوا أمره أخذه، فحبسوه وعدبوه، فلم يزل محبوباً معدباً، حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا؛ وقتل - رضي الله عنه - في غزوة “أحد” شهيداً، فلم يجدوا شيئاً يُكفّنونه فيه سوى بُردة، فكانوا إذا وضعوها على رأسه، خرجت رجلاه، وإذا وضعوها على رجله، خرج رأسه، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: “اجعلوها على ما يلي رأسه، واجعلوا على رجله من الإذخر” (مسلم). وقد وقف صلى الله عليه وسلم على هذا الفتى وهو مقتول مسجى في بُردة، فقال له والدموع تترقرق من عينيه: “ما رأيتُ بمكة أحسنَ لمةً، ولا أرقَّ حُلَّةً، ولا أنعمَ نعمة - من مصعب بن عمير”، (مستدرك الحاكم)؛ وقرأ عليه قوله تعالى:

{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا } [الأحزاب: 23].

**وفي مجال الجهاد والدفاع عن الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم:** أكتفي بذكر هذا الموقف الذي يرويه لنا الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حيث يقول: بينا أنا واقفٌ في الصفِّ يوم بدرٍ ، فنظرتُ عن يميني وعن شمالي ، فإذا أنا بغلامين من الأنصارِ ، حديثه أسناهما ، تمنيْتُ أن أكونَ بين أضلعٍ منهما ، فغمزني أحدهما فقال : يا عمِّ هل تعرفُ أبا جهلٍ ؟ قلتُ : نعم ، ما حاجتكُ إليه يا ابنَ أخي ؟ قال : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والذي نفسي بيده ، لئن رأيتُهُ لا يُفارقُ سوادي سوادهُ حتى يموتَ الأعجلُ مِنَّا ، فتعجبتُ لذلك ، فغمزني الآخرُ ، فقال لي مثلها ، فلم أنشبُ أن نظرتُ إلى أبي جهلٍ يجولُ في الناسِ ، قلتُ : ألا ، إنَّ هذا صاحبكما الذي سألتُماني ، فابتدراه بسيفهما ، فضرباهُ حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فأخبراهُ ، فقال : أيكما قتلهُ . قال كلُّ واحدٍ منهما : أنا قتلتُهُ ، فقال : هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا : لا ، فنظرَ في السيفينِ ، فقال : كلاكما قتلهُ ، سلَّبهُ لمعاذِ بنِ عمرو بنِ الجموحِ . وكانا معاذَ بنَ عفراءَ ومعاذَ بنَ عمرو بنِ الجموحِ . ” ( البخاري ومسلم). بينما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يُحدِّث نفسه بما يُحدِّثها به ، ويتمنَّى أن لو كان بين أضلع وأقوى وأجلد منهما ، إذ فاجأه بالسؤال ! والسؤال عمَّن ؟ عن عدو الله ! عن أبي جهل حيث بلغهما أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم !!! فأين أنتم ممن تطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! وأين أنتم ممن سب سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ؟! إن أمتنا بحاجة إلى ( معاويد ) !

**وفي مجال العلم أقول:** إذا ذُكر العلم ذُكر ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، لذا كان عمر رضي الله عنه يجلسه معه ومع أكابر الصحابة، ويستشيره في الأمر إذا أهمه، ويقول: غص غواص«؛ وهذا معاذ بن جبل يقول عنه أبو سلمة الخولاني: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من الصحابة، فإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا ساكت، فإذا امترى القوم، أقبلوا عليه، فسألوه، فقلت: من هذا؟ قيل: معاذ بن جبل، فوقعته محبته في قلبي«( سير أعلام النبلاء).

بل حثهم صلى الله عليه وسلم على تعلم اللغات الأخرى؛ فعن زيد بن ثابت قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وأنا ابن إحدى عشرة سنة. فأمرني أن أتعلَّم له كلماتٍ من كتاب يهودَ قالَ إني والله ما آمنُ يهودَ على كتابي قالَ فما مرَّ بي نصفُ شهرٍ حتَّى تعلَّمتهُ له قالَ فلما تعلَّمتهُ كانَ إذا كتَّبتُ إلى يهودَ كتَّبتُ إليهمُ وإذا كتُّبوا إليَّ فيه قرأتُ له كتابهمُ«( أبو داود والترمذي وصححه).

**وفي مجال العبادة:** وفي إطار عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب النابغة من فهم عميق بخصائص هذه المرحلة نجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يغفل عن ضبط حماسهم وتوجيههم إلى ما يتناسب وطبيعة أعمارهم. ويدل على ذلك قصة الشباب الثلاثة الذي أبدوا حماساً في العبادة، كما يروي ذلك أنسٌ ، رضي الله تعالى عنه ، قال : جاء ثلاثة زهطٍ إلى أزواجِ النبيِّ ، صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يسألونَ عنَ عِبَادَةِ النبيِّ ، صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما أُخبروا بِهَا ، كَأَنَّهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا : أَيُّنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ، صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ عَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا أَصُومُ النَّهَارَ لَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا . فَجَاءَ النبيُّ ، صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ ، إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمُ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي . ” ( البخاري) كل ذلك شفقة من الرسول صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الشباب الذين عزموا على ترك بعض ما أحل الله لهم والاجتهاد في طاعة الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا الإطار نفسه نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفق على الشاب عبدالله بن عمرو بن العاص عندما أخذه حماس الشباب في قراءة القرآن كاملاً كل ليلة، فلما علم بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال له مشفقاً عليه: “إني أخشى أن يطول عليك الرَّمَانُ ، وأنَّ تَمَلَّ ، فَأَقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ ، فَعُلْتُ : دَعْنِي أَسْتَمْتِعُ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي ، قَالَ : فَأَقْرَأْهُ فِي عَشْرِ ، فَعُلْتُ : دَعْنِي أَسْتَمْتِعُ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي ، قَالَ : فَأَقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ ، فَعُلْتُ : دَعْنِي أَسْتَمْتِعُ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي ، فَأَبَى . ” (أحمد والنسائي وابن ماجه بسند صحيح). “ولقد عمَّرَ عبدالله بن عمرو طويلاً، ولما تقدمت به السن ووَهَنَ منه العظم، كان يتذكر دائماً نُصَحَ الرسول فيقول: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ” ( سير أعلام النبلاء ).

وقس على ذلك جميع مجالات الحياة وبناء الحضارة الإسلامية والتي قامت بسواعد الشباب من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. أيها الإخوة الكرام: هذا غيض من فيض، وفي سيرة سلفنا الصالح من الشباب ما يجلب عن الحصر، ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق، وعلى شبابنا وناشئينا الاهتمام والعناية بهذه السيرة المباركة واتخاذهم قدوة؛ حتى يلحقوا بركبهم وينهلوا شيئاً من بركاتهم التي حلت عليهم بفضل جهادهم وعبادتهم، وعلمهم.

أيها المسلمون: إذا كان الصحابة قد نالوا الشرف العظيم بصحبة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم؛ فالواجب علينا أن نفتدي بهم؛ ونهتدي بهديهم؛ ونستن بسنتهم كما أمرنا بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فعن العزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ؛ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ؛ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ." (أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان). قال القاري في المرقاة: " فعليكم بسنتي " أي بطريقتي الثابتة عني

واجبا أو مندوبا ، وسنة الخلفاء الراشدين فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي ، بالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم. " وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. " (تفسير القرطبي).

وقال ابن رجب: " والسنة : هي الطريقة المسلوكة ، ويشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال ، وهذه هي السنة الكاملة ، ولهذا كان السلف قديماً لا يُطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله. " (جامع العلوم والحكم). فالصحابة كانوا يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم في جميع الأقوال والأعمال والأفعال؛ ولشدة اقتداء الصحابة به - صلى الله عليه وسلم - اتبعوه في خلع نعله أثناء الصلاة ، مع أن هذا الأمر خاص به - لعرض - دون غيره.

فقد أخرج أبو داود والحاكم والبيهقي عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي إِذْ وَضَعَ نَعْلَيْهِ عَلَى يَسَارِهِ فَأَلْقَى النَّاسُ نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا فَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ، قَالَ: " مَا حَمَلَكُمْ عَلَى الْفَاءِ نِعَالِكُمْ؟ "، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ فَأَلْقَيْنَا، فَقَالَ: " إِنَّ جِبْرِيْلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَدْرًا أَوْ أَدَى فَمَنْ رَأَى - يَعْنِي - فِي نَعْلِهِ قَدْرًا أَوْ أَدَى فَلْيَمْسُخْهُمَا ثُمَّ لِيُصَلِّ فِيهِمَا. " . فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يشرح لهم أركان الصلاة وسننها وفروضها ومبطلاتها وشروط صحتها كما نفعل الآن!! وإنما قال: « صلوا كما رأيتموني أصلي » ( متفق عليه )؛ وفي الحج قال: " خذوا عني مناسككم " (مسلم وأبو داود والبيهقي واللفظ له) .

ولذلك كان عمر - رضي الله عنه - يقبل الحجر الأسود ويقول: والله إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر؛ ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك!!

أختم هذه الصور والمواقف بموقف رائع لسيدنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ فقد روي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - مر على طريق يوماً ثم نزل من فوق ظهر ناقته، وصلى ركعتين، فصنع ابن عمر ذلك إذا جمعه السفر بنفس البقعة والمكان.. فسئل عن ذلك فقال: رأيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك ففعلت!!

بل إنه ليذكر أن ناقة الرسول دارت به دورتين في هذا المكان بمكة، قبل أن ينزل الرسول من فوق ظهرها، ويصلي ركعتين، وقد تكون الناقة فعلت ذلك تلقائياً لتهدئ لنفسها مناخها؛ لكن عبدالله بن عمر لا يكاد يبلغها المكان يوماً حتى يدور بناقته، ثم ينيخها، ثم يصلي ركعتين لله.. تماماً كما رأى المشاهد من قبل مع رسول الله..

عباد الله: القدوة القدوة تفلحوا!! فمن منا يستطيع أن يقتدي بأبي بكر في صحبته وصداقته؟ أو ببلال في توحيده؟ أو بأبي هريرة في بره لأمه؟ أو بعمر في الحق والعدل؟ أو بعبد الرحمن بن عوف في إصراره على الريح الحلال؟ أو بعلي رضي الله عنه في ثقته في النبي وفدائيته؟ أو بعثمان في حيائه وتصدقه؟ أو بأبي دجانة في استماتته في الدفاع عن نبيه؟ أو بخباب في دفاعه عن عرض نبيه؟ أو بعمار بن ياسر في صبره؟ أو بابن مسعود في قراءته للقرآن؟ أو بخالد في نصرته لدينه؟ أو بأنس بن مالك في خدمته حبه؟ أو بسلمان في بحثه عن الحقيقة؟

أو بأبي موسى الأشعري في كرمه؟ أو بأبي أيوب الأنصاري في حسن استقباله لضييفه؟ أو ..... أو ..... فعلينا أن نتشبهه بصحابة رسول الله الأبرار، وأن نمشي على نهجهم.

## وَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ..... إِنَّ التَّشْبُهَ بِالْكَرَامِ فَلَاخٌ

أحبتني في الله: والله ثم والله: إنا إن فعلنا ذلك واقتدينا بهم؛ لصلح حالنا وحال أولادنا وبناتنا وآبائنا ونسائنا؛ وصلح حال جميع البلاد والعباد !!

### العنصر الرابع: واجبنا نحو الصحابة الكرام

عباد الله: تعالوا بنا إلى عنصرنا العملي والتطبيقي لنعرف واجبنا نحو صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم والذي يتلخص فيما يلي:-

**1- حب الصحابة رضي الله عنهم:** فعن عبد الله بن مَعْقِلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُ فِي أَصْحَابِي اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ؛ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ؛ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي؛ وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ." [أحمد والترمذي والبيهقي]. قال المناوي رحمه الله تعالى- " ( الله في حق أصحابي ) أي اتقوا الله فيهم ، ولا تلمزوهم بسوء ، أو اذكروا الله فيهم وفي تعظيمهم وتوقيرهم ، وكرره إيدانا بمزيد الحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص ( لا تتخذوهم غرضاً ) هدفا ترموهم بقيبح الكلام كما يرمى الهدف بالسهم هو تشبيهه بليغ ( بعدي ) أي بعد وفاتي " ا.هـ ( [فيض القدير] .

واعلم - يا عبد الله - أنك لو أخلصت في حبك لهم؛ فإنك ستكون رفيقاً لهم في الجنة وإن لم تعمل مثلهم. فعن أنس رضي الله عنه ، أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال : متى الساعة ؟ ، قال : " وماذا أعددت لها ؟ " قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " أنت مع من أحببت " . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " أنت مع من أحببت " ، قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبأ بكر ، وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم " (البخاري) .

لذلك كان السلف يعلمون أولادهم حب الصحابة وسيرتهم.. قال الإمام مالك -رحمه الله-: " كانوا يعلموننا حب أبي بكر وعمر كما يعلموننا السورة من القرآن .."

فعلينا أن نحب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولا سيما الأنصار - لأنهم هم الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه؛ لذلك تمنى صلى الله عليه وسلم أن يكون واحدا منهم !!  
فعن البراء بن عازب ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْأَنْصَارَ أَبْغَضَهُ اللَّهُ." (ابن ماجة) .

**2- عدم سبهم:** فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ . " (متفق عليه). " وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة ، وضيق الحال بخلاف غيرهم ، ولأن إنفاقهم كان في نصرته -صلى الله عليه وسلم- ، وحمائته ، وذلك معدوم بعده ، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم ، وقد قال تعالى ( لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ) (الحديد:10) وهذا كله مع ما كان فيهم في أنفسهم من الشفقة ، والتودد ، والخشوع ، والتواضع ، والإيثار ، والجهاد في الله حق جهاده ، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازئها عمل ، ولا ينال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " ا.هـ [شرح مسلم للنووي] .

وقيل " السبب فيه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ما لا يثمر غيرها ، وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلّة عدد المتقدمين ، وقلّة أنصارهم فكان جهادهم أفضل ، ولأن بذل النفس مع النصر ، ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها " ا.هـ [تحفة الأحمدي] .

وفي النهي عن سبهم كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : " لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً ، حَتَّى مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ عُمْرُهُ. " (ابن ماجة بسند حسن)؛ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. " [الطبراني في الكبير] .

**3- عدم ذكر مساوئهم:** فنحن نسمع بين الفينة والأخرى من يذكرهم بسوء؛ أو يذكر الخلافات التي دارت بينهم؛ وذلك من أجل التشكيك في عدالتهم ونزاهتهم؛ وهذا منهي عنه شرعاً؛ قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- " لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتبهه فان تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يراجع. " [طبقات الحنابلة والصارم المسلول] .

قال الطحاوي -رحمه الله تعالى- " ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نُفِرُّ في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم ، وبغير الحق يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان " اهـ.[العقيدة الطحاوية].

**4- الترضي والترحم عليهم:** ففي كل ذكرٍ لهم نترحم عليهم وندعو لهم. قال الحميدي -رحمه الله تعالى- أن من السنة: " الترحم على أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- كلهم فإن الله عز وجل قال: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ } (الحشر:10)؛ فلم نُؤمر إلا بالاستغفار لهم ، فمن سبهم أو تنقصهم أو أحدا منهم فليس على السنة؛ وليس له في الفيء حق ، أخبرنا غير واحد عن مالك بن أنس. " اهـ.[أصول السنة] .

**5- مطالعة سيرهم وتعليمها للنشء:** فعلى أن نطالع سيرهم وأعمالهم وكيف كانوا يضحون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله؟! ونعلم ذلك أبناءنا!! فإن تعلم ذلك يعلى من همة الآباء والأبناء على السواء. يقول ابن الجوزي: "فسييل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب، التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة؛ فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة..."

فإن الله وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم. " . إلى أن قال: " فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم: ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر هم الطلاب!!." (صيد الخاطر) .

**6- الدفاع عنهم:** فكم من جاهل ناعق بين الحين والحين يخرج على فضائية أو إعلام يسب الصحابة العدول رضي الله عنهم؛ أو يطعن فيهم؛ وينبغي على كل فرد ولا سيما العلماء أن يدافعوا عنهم؛ فعن إبراهيم العذري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » ( البيهقي بسند صحيح ).

رضي الله عن الصحابة الكرام؛ وجمعنا الله بهم في مستقر رحمته ودار كرامته!!

**الدعاء،،،،،**

**وأقم الصلاة،،،،،**

**كتبه : خادم الدعوة الإسلامية**

**د / خالد بدير بدوي**